

9 يوليو 2007

## حول المواقف المراوغة والمفاهيم المتلبسة

أسامة عرابي

تشيع في أوساط كثير من المشتغلين بالعمل العام والمتقنين العرب، آراء وتحليلات استقرت واصطلح عليها، وبدا من ثم - الخروج على توجهاتها ومنطلقاتها هرطقة وتجديفاً سياسيين.. لاسيما ما يتعلق منه بمدى تثمين مواقف بعض نقاد الصهيونية.. من الجناح العمالي الصهيوني، سواء داخل "إسرائيل" أو خارجها وكيفية تقدير مدلولاتها وتكييفها والتعامل معها دون مغالاة ولا افتئات... بعد أن عدها البعض شجاعة واختراقاً للتابوهات... وتهديداً للدولة العبرية ذاتها... ومحاولة بلورة وعى تاريخي جديد بالمأساة الفلسطينية... الخ... فالى أى حد يمكن أن ينسجم ذلك مع سعيهم إلى تحقيق "الاعتراف المتبادل" و"التعايش السلمى"؟ كيف تتناغم دعوات الإنسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة وقيام دولة فلسطينية على أرضية إعتزافهم بـ"إسرائيل" ذاتها وشرعية وجودها؟ أى اعتراف وتعايش مع مشروع إستعماري إستيطاني إجلائي عنصري؟! وهل يمكن تناول تاريخ اغتصاب فلسطين، بمنأى عن عقيدة الترانسفير القارة والراسخة في الفكر الصهيوني؟

ألم يقل "بيني موريس" أبرز المؤرخين الجدد "الإسرائيليين" في حوار أجرته معه صحيفة "هارتس" الإسرائيلية في 9 يناير 2004 تحت عنوان "البقاء للأصلح": (يملك العرب قطعة كبيرة من كوكب الأرض ولا يرجع الفضل إلى مهاراتهم أو فضائلهم بل لأنهم احتلوا وقتلوا وارغموا المحتلين على اعتناق الإسلام على مدار أجيال كثيرة ، وفي النهاية يملك العرب 22 دولة، والشعب اليهودي لا يملك حتى دولة واحدة ولا يوجد سبب في العالم يفسر لماذا لا تكون له دولة ، لذلك أرى أن الحاجة لإنشاء هذه الدولة في هذا المكان أهم من الظلم الواقع بالفلسطينيين نتيجة اقتلاعهم)؟

وكيف يمكن فهم ما ذهب إليه "يوري أفنيري" مدير تحرير جريدة "هاولام هازيه" "الإسرائيلية" وأحد مؤسسيها، والمقرب من "هنري كوربيل": (قمت تلبية لنصيحة كوربيل بتكوين لجنة "إسرائيلية" لتقديم مساعدات فعالة إلى المناضلين الجزائريين ، وللتأثير على السياسة "الإسرائيلية"، وحتى يعرف العالم العربي أن هناك "إسرائيل" أخرى... وحين علم الجزائريون أن بعض أعضاء اللجنة كانوا أعضاء في جماعة شتيرن، طلبوا منا إرسال مجموعة من المدربين على أعمال تفجير المنشآت الكيميائية والكهربائية

إلى معسكرات التدريب التابعة لجبهة التحرير فى يوغوسلافيا وفى تونس ... وللأسف الشديد لم تتمكن من الاستجابة لهذا المطلب: لان الحكومة "الإسرائيلية" اعترضت عليه ... كما أنه لم يكن معنا متطوعون) {هنرى كورييل ... رجل من نسيج خاص - تأليف جيل بيرو- ترجمة: لطيف فرج - ص 414} أى كيف يتسق قول "أفنىرى" (وحتى يعرف العالم العربى أن هناك إسرائيل أخرى) ... مع قوله (وللأسف الشديد لم تتمكن من الاستجابة لهذا الطلب لأن الحكومة الإسرائيلية اعترضت عليه)... أم أن الهدف المرتجى من ترويج دعوات من قبيل (إقامة دولة فلسطينية فى فلسطين وتحقيق السلام العادل) تمرير الإعتراف بإسرائيل وإقراره على نحو ما دعا إليه هنرى كورييل فى ورقته التى عنوانها باسم " ملاحظات حول المشكلة الفلسطينية" (لاحظ أن الصراع العربى-الإسرائيلى والقضية الفلسطينية صار محض مشكلة فحسب) وكان حريصاً على تقديمها إلى كل مؤتمر تعقده "منظمة التضامن" التى أسسها "كورييل" مع رفاق له آخرين بهدف تقديم مساعدات للحركات المعادية للإستعمار، فى شكل تحليلات سياسية وخطط إستراتيجية ونصائح سياسية ونقد اخوى، وقد جاء فيها: (إننا ننطلق من حق الجماعات الوطنية المقدس، والذي لا يسقط بالتقادم فى أن تعيش فى وطنها ... إذن نحن نعتزف بحق يهود "إسرائيل" فى الوجود الوطنى، ولكن هذا الحق يجب بالأحرى منحه لعرب فلسطين، صحيح أن كلاً من الطرفين ينكر حقوق الطرف الآخر المشروعة، وبهذا فإنه بدفاعنا عن حقوق الفلسطينيين العرب، فإننا لا ندافع عن قضية عادلة فحسب، بل نخلق الظروف المناسبة لإعتراف العرب بالحقوق الشرعية لليهود "الإسرائيليين") {المصدر السابق ص 411} لهذا لم يجد "جوزيف حزان" بأساً من الاتصال بكورييل تلفونياً والاتفاق معه فى الرأى حول أن ذهاب "السادات" إلى القدس "عمل طيب" {المرجع نفسه ص 412} الأمر الذى حدا بالدكتور "جويل بينين" مدير مركز دراسات الشرق الأوسط فى الجامعة الامريكية بالقاهرة إلى القول فى كتابه {العلم الأحمر ... هل كان يرفف هناك؟} (لكن تغانيه -أى تغانى هنرى كورييل- الذى لا يهن لإقامة صلة بين العرب "والإسرائيليين" الساعين لتعايش سلمى، أمر ينبغى تقديره) {ص 142 ، 143 - من الترجمة العربية- التى قام بها الأستاذ كمال السيد} ... وهو ما جعله (بنين) يهاجم د. رءوف عباس والسيدة عزة رياض التى نهضت بترجمة كتاب "أوراق هنرى كورييل" بضاوة قائلاً: (وتلخص المقدمة التى كتبها عباس ورياض لكتاب أوراق "هنرى كورييل" الإتهامات التى وجهها إلى كورييل رفاقه السابقون وخصومه ومنافسوه وللأسف فإنها تحتوى على مبالغات وأخطاء كثيرة حول الحقائق والتفسيرات بما يعكس المشاعر المعادية للصهيونية بلا تمييز والتى قد لا تراعى التمييز بين العداء للصهيونية والعداء للسامية السائدة حالياً بين المثقفين القوميين المصريين وهو رد فعل مفهوم وان كان ضاراً لاتفاقية كامب ديفيد - وفشلها فى تامين الحقوق القومية للفلسطينيين) {راجع هامش 78 ، ص 240 من كتاب "العلم الأحمر" الذى سلفت الإشارة إليه} ولا يتواضع "بنين" فبيين لنا علاقة الخلاف السياسى مع كورييل بالعداء للسامية... بفشل "كامب ديفيد" فى تامين الحقوق القومية للفلسطينيين؟ وبالمناسبة... هل كان منوطاً "بكامب ديفيد" تأمينها.. أم إهدارها؟ .. تعالوا نتذكر ما قاله "موشيه دايان" عن هذه الاتفاقية

والهدف من إبرامها ، وذلك فى الجلسة التى عقدها "الكنيست" فى 1979/2/20: لمناقشتها وإتخاذ القرار بشأنها: (إن إتفاق السلام المصرى الإسرائيلى المعروف علينا الآن ليس إتفاق سلام رعوياً ولا تجسيدا لنبوذة يوم الآخرة القائلة: "ولا يرفع الغريب على الغريب حرباً"... إنه إتفاق سلام له ملاحقه العسكرية ومعه وعود لزيادة قوة الجيش الإسرائيلى... إن الإتفاق هو إنتصار "لإسرائيل"، وإنتصار.. لطريق "إسرائيل"). وعدّ "دايان" تسليم العرب بوجود "إسرائيل"، إنتصاراً "لإسرائيل". فكيف يمكن الإتفاق مع "بنين" حول ما يدعوا إليه من "إعتراف متبادل وتعايش سلمى؟!.. فى الوقت الذى هاجم فيه كتاب المرحوم الأستاذ "عبد المنعم الغزالي" ("إسرائيل" قاعدة للاستعمار وليست أمة)، الذى أصدرته "دار الفكر" عام 1958، قائلاً ما نصه: (فقد إدعى الغزالي وهو يستخدم حججا تاريخية زائفة تفرط فى التركيز على مدى التأييد الأمريكى لإسرائيل وأهمية الإختلافات فى السياستين الأمريكية والفرنسية فى الشرق الأوسط، أن الفضل فى وجود إسرائيل يرجع فقط للدعم المالى والعسكرى الامبريالى "الأمريكى فى المحل الأول" ثم طالب بإزالة دولة "إسرائيل" وكل المؤسسات الصهيونية وإلغاء مشروع الأمم المتحدة للتقسيم وإنشاء دولة عربية فى فلسطين كلها)، وبدلاً من مناقشة الكتاب مناقشة جادة ، يلجأ "بنين" إلى إطلاق الأحكام المبتسرة والإتهامات، على نحو ما أردف به كلامه السابق: (بيد أن "دار الفكر" كان يديرها أعضاء حدتو السابقون المقربون لكورييل واستعدادهم لنشر الكتاب بوضوح تخليهم العنيف عن وجهة نظرهم التاريخية، ويعنى نهاية محاولة الشيوعيين وضع منظور بديل لمنظور النظام الناصرى بشأن حل النزاع العربى "الإسرائيلى") {ص 174}... وهو ما ذكرنى بخطاب "دايان" السابق وفيه يقول ما نصه: (تخلى السادات بعد حرب يوم الغفران عن التصور الناصرى الذى كان يقول: "أن ما أخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة"... لقد تخلى عن النظرية الناصرية والمصرية القائلة: "إذا فشلنا هذه المرة فسنستعد للحرب القادمة"، لقد تحول إلى طريق آخر تماماً إلى طريق إقامة علاقات سلام مع "إسرائيل" بدلاً من حالة الحرب). لذلك كان طبيعياً فى هذا السياق أن يؤكد "بنين" {ص 24} أن (التفرقة الصريحة ضد غالبية اليهود المصريين الذين لم يكونوا شيوعيين ولا صهيونيين واضطهادهم لم تصبح شائعة إلا بعد مهاجمة "إسرائيل" لمصر فى 1956)... وكلمة "إضطهادهم" الواردة فى هذه العبارة يكذبها "جويل بينين" نفسه فيما ينقله عنه د.محمد أبو الغار فى كتابه الموسوم باسم "يهود مصر من الازدهار الى الشتات" {237 و 238} قائلاً:

"بقيت نقطتان: هل طرد اليهود من مصر عام 1956 ؟ والإجابة نجدها بأقلام كبار الدارسين، مثل "بنين" الذى يوضح أن قلة من اليهود ذوى الارتباطات الصهيونية قبض عليهم لفترات قصيرة وذلك فى نفس الوقت الذى قبض فيه على عشرات الآلاف من المسلمين والأقباط، الذين ذاقوا الأهوال فى السجن مقارنة بما حدث لليهود مما يعنى أن الأمر لم يكن ضد اليهود، لكن له أسباباً سياسية وأيديولوجية واقتصادية .

إذن ماذا حدث ولماذا خرج اليهود؟.. وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الغالبية العظمى من اليهود لم يطردوا ولم تصادر أملاكهم عام 1956. وقد صودرت أموال الانجليز والفرنسيين الذين كان بينهم بعض اليهود، بالإضافة إلى أعداد قليلة من الصهاينة الناشطين وقلة قليلة من اليهود الذين كان لهم نشاط صهيوني هم الذين قبض عليهم، أو صدرت الأوامر برحيلهم، ورحلوا بالفعل إلى خارج مصر، أما الباقون فقد غادروا برغبتهم وباع معظمهم ممتلكاتهم بأسعار أقل من سعر السوق وأعتقد أنني بعد أن قابلت عدداً من اليهود الذين غادروا مصر فى تلك الفترة وسجلت أحاديثهم فى هذا الكتاب، عرفت أن الخوف هو السبب الأساسى فى الهجرة وذلك بالرغم من عدم تعرض اليهود لأى أذى أو ضغط .

كما يذكر المرحوم الأستاذ "لطف الله سليمان" فى كتابه "فلسطين... نحو تاريخ بلا أساطير" {الذى ترجمة الأستاذ محمد مستجير مصطفى، ص 136}، فى أيام الإمتيازات قبل 1936 اختار كثير من اليهود جنسيات أجنبية وبوجه خاص الجنسية البريطانية أو الفرنسية، فى تلك الأيام، كان هذا يتيح لهم كثيراً من المزايا. وبعد إلغاء الإمتيازات عقب معاهدة 1936، إحتفظوا بجنسيتهم البريطانية أو الفرنسية.. وفى عام 1956، طردتهم حكومة عبد العناصر شأنهم فى ذلك شأن كل البريطانيين وكل الفرنسيين الآخرين ولم يكن بعض هؤلاء اليهود المطرودين يعرفون حتى أن آباءهم قد اختاروا جنسية أجنبية، وكانوا يعتبرون أنفسهم مصريين.

إذن ... لماذا صاغ "جويل بنين عبارته على هذا النحو؟ أليس فى مناقشة هذه الأفكار وسواها، حضور لهوية وتأكيد لذات كما علمنا "جاك دريدا" فى قراءته لهوسرل"؟.